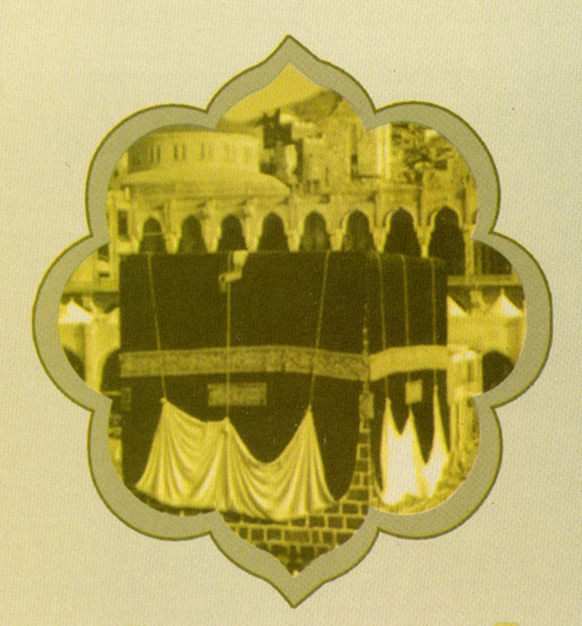


خطب و مواعظ

من

حجة الوداع

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

طبع على نفقة بعض المحسنين

جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبه

خطب ومواعظ
من
حجّة الوداع

خطب ومواعظ

من

حجّة الوداع

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر ، عبد الرزاق عبد المحسن العباد

خطب و مواعظ من حجة الوداع . / عبد الرزاق عبد المحسن العباد

البدر . — المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ

٩٦ ص ؛ .. سم

ردمك : ٧ - ٨١٠ - ٤٩ - ٩٩٦٠

١ — الخطب الدينية ٢ — حجة الوداع أ.العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٦/٦٦٥٨

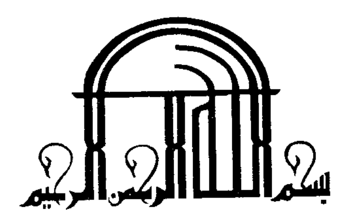
رقم الإيداع : ٦٦٥٨ / ١٤٢٦

ردمك : ٧-٨١٠-٤٩-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

" لامانع من طبع الكتاب لمن أراد توزيعه مجاناً "


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ خطب النبي ﷺ ومواعظه في حجته التي ودّع فيها المسلمين ذاتُ شأنٍ عظيم ومكانةٍ سامية قرّر فيها عليه الصلاة والسلام قواعد الإسلام ومجامع الخير ومكارم الأخلاق، بكلمات بالغات وعظات نافعات، ممن أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم وكمال النصح وحسن البيان وجزالة الألفاظ وفصاحة القول، مع رحمة بالغة وشفقة عظيمة وحرص على نفع العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١].

ولما كان الحج خير مقام لنصح العباد وتعليم الخير، إذ فيه يجتمع المسلمون من أقاصي الدنيا، وأنحاء المعمورة ملبين نداء الله، قاصدين بيته الحرام، راجين رحمته، خائفين من عذابه، فإن خير هدية تقدم لهم وأتم فائدة يظفرون بها أن يقفوا على خطب نبيهم عليه الصلاة والسلام ومواعظه في هذه المشاعر المباركة في حجة الوداع، فهو الناصح الأمين، والمبلغ المشفق، والمربِّي الحكيم، وهو أنصح الناس للناس، بل هو قدوة الناصحين، وأسوة عباد الله أجمعين ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وفي هذا الكتيب جمع لطائفة نافعة وجملة مباركة ونخبة طيبة من خطب النبي ﷺ ومواعظه في حجة الوداع، مع شيء من البيان لدلالاتها والتوضيح لمراميها وغايتها، مما أرجو أن يكون زاداً للوعّاظ، وذخيرة للمذكرين، وبلغة للناصحين، مع الاعتراف بالقصور والتقصير، وقد جعلتها في ثلاثة عشر درساً متناسبة في أحجامها ليتسنى بيسر إلقاؤها على الحجاج أيام الحج على شكل دروس يومية، وأسأل الله الكريم أن ينفع به، وأن يجعل فيه البركة، وأن يكتب له القبول، فالتوفيق بيده وحده لا رب سواه، ولا إله إلّا هو، ولا حول ولا قوة إلّا به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

✍ وكتبه

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

[١]

مكانة خطبه ﷺ في حجة الوداع

إنَّ أحسن الخطب وأوفاها بياناً وأتماها نصحاً خطبُ نبينا الكريم ﷺ فقد جمع الله له في خطبه المنيفة جمال البيان وحسن الإفهام وقلة ألفاظ الكلام، بل ما سمع قط كلامُ أحد من البشر أعمُّ نفعاً، ولا أفصح معنى، ولا أصدق لفظاً، ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أوفى نصحاً من كلامه الشريف ﷺ، وقد آتاه الله جوامع الكلم وخصه ببدائع الحكم، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بعثت بجوامع الكلم**»[١].

قال الزهري رحمه الله: «جوامع الكلم ـ فيما بلغنا ـ أن الله يجمع له الأمورَ الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك».

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٢٩٧٧)، و«صحيح مسلم» رقم (٥٢٣).

ومن يتأمَّلْ خطبه صلوات الله وسلامه عليه يجِدْ فيها الوفاء والنصح والبيان، وكان يخطب في كلِّ وقت بما تقتضيه حاجةُ المخاطبين ومصلحتُهم، إلّا أنها في الجملة كان مدارُها على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده وتعليمِ قواعد الإسلام وذكرِ الجنة والنار والمعاد والأمر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه.

والحج مناسبة كريمة وفرصة ثمينة للنصح والتوجيه والوعظ والتنبيه والتعليم والإرشاد، إذ القلوب فيه مقبلة والنفوس مطمئنة والرغبة في الخير شديدة، فحريٌّ بالدعاة إلى الله تعالى أن تتضافر جهودهم وتتوافر هممهم في هذا الموسم المبارك نصحاً وتعليماً وإرشاداً وتوجيهاً مقتفين آثار نبيهم الكريم مهتدين بهديه القويم، وأن يكون مرتكزُ كلامهم ما دعا إليه ومحورُ نصحهم وبيانهم ما أرشد إليه، إذ هو عليه الصلاة والسلام أنصحُ الناس للناس، بل هو قدوة الناصحين وإمام المرشدين ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد كان لخطب النبي ﷺ في حجة الوداع على وجه الخصوص شأنٌ عظيم إذ هي وصية مودع والمودع يستقصي ما لا يستقصي غيرُهُ في القول والفعل، وقد عرّض في خطبته في حجة الوداع بذلك فقال: «**فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أحُجُّ بَعْدَ حجَّتِي هَـٰذِهِ**»[1]، وطفق يودّع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع. ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في شأن هذه الخطبة: «فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته ﷺ إلى أمته» رواه البخاري[2].

ويدل لأهمية هذه الخطبة وعظيم شأنها أمورٌ عديدة منها:

أولاً: أن النبي ﷺ ودع الناس على إثرها فهي وصية مودع كما سبق إيضاح ذلك.

ثانياً: أن النبي ﷺ استنصت الناس أي طلب منهم أن

---

(١) «صحيح مسلم» (١٢٩٧).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (١٧٣٩).

ينصتوا، ففي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «**استنصت الناس**»[1]. مما يدل على أهمية الأمر، حيث إن الخطبة لما كانت مشتملة على صلاح الناس وسعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ناسب أن يأمرهم بالإنصات الذي يؤثر فيهم العلمَ والانتفاع ومن ثم العملَ والارتفاع. وقد نُقل عن سفيانَ الثوريِّ وغيرِه أنه قال: «أولُ العلم الاستماع ثم الإنصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر».

ثالثاً: أن النبي ﷺ كان في خطبته تلك يتطاول من أجل إسماع الناس. ففي المسند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس في حجة الوداع وهو على الجدعاء واضع رجله في غَراز الرحل يتطاول يقول: **ألا تسمعون**»[2].

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (١٢١)، و«صحيح مسلم» رقم (٦٥).

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٢٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٨٦٧).

رابعاً: أن الله ﷻ فتح أسماع الناس في ذلك اليوم فكانوا يسمعون كلامه ﷺ وهم في منازلهم. ففي سنن النسائي عن عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ففتح الله أسماعنا، حتى إنْ كنّا لنسمعُ ما يقول ونحن في منازلنا»[1].

خامساً: أنه ﷺ اتخذ من يبلغ عنه، ففي سنن أبي داود عن رافع بن عمرو المزني قال: «رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعليٌّ رضي الله عنه يعبّر عنه، والناس بين قاعد وقائم»[2].

وقوله: «وعليٌّ رضي الله عنه يعبر عنه» من التعبير، أي: يبلّغ حديثه مَنْ هو بعيدٌ من النبي ﷺ.

سادساً: قوله ﷺ في الخطبة: «**ألا هل بلّغت؟** قالوا:

---

(١) «سنن النسائي» رقم (٢٩٩٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٣٤٠).

(٢) «سنن أبي داود» رقم (١٩٥٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٥٤٩).

نعم. قال: **اللهم اشهد**»[1] وتكراره لذلك.

سابعاً: أمرُهم بأن يبلغ الشاهدُ منهم الغائب، ففي حديث أبي بكرة ﵁ في الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: «**فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلَّغ أوعى من سامع**»[2].

ثامناً: استعماله ﷺ في خطبته أسلوب الحض والتنبيه وشدِّ الانتباه «**ألا هل بلغت**»، «**ألا ليبلغ الشاهد الغائب**»، «**ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»، وتَكرّر مثلُ هذا في مواضع من خطبته. وكذلك أساليبُ التوكيد كقوله: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[3]، وفي هذا ما فيه من الاهتمامِ وتقويةِ الكلام وتثبيتهِ في أذهان سامعيه.

تاسعاً: التأمل في مضامين هذه الخطبة العظيمة

---

(١)(٢)(٣) «صحيح البخاري» رقم (١٧٤١)، و«صحيح مسلم» رقم (١٦٧٩).

ودلالاتها المباركة حيث قرر فيها صلوات الله وسلامه عليه قواعد الملة الحنيفية، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت الملل على تحريمها إلى غير ذلك من المضامين العظيمة التي اشتملت عليها خطبته، مما سنقف على جملته من خلال هذه الرسالة بإذن الله عز وجل.

فكل ذلك يدل دلالة واضحة على أهمية شأن خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع وأهمية العناية بها، وأن الحاجة ماسة إلى معرفتها في حق كل مسلم صغير أو كبير ذكر أو أنثى. رزقنا الله البصيرة بسنته والاهتداء بهديه.

[٢]

خطبة يوم عرفة

إنَّ من خطب النبي ﷺ في الحج خطبتَه يومَ عرفة، وذلك فيما رواه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديثه الطويل الذي وصف فيه حجة النبي ﷺ من خروجه من المدينة إلى أن رجع إليها، وهو حديث عظيم مشتمل على جملٍ من الفوائد، ونفائسَ من مهماتِ القواعد، وهو مخرج في صحيح الإمامِ مسلمٍ[1] رحمه الله.

قال جابر رضي الله عنه في سياق هذا الحديث: «حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فَرُحِلَتْ له، فأَتى بطنَ الوادي فخطب الناس وقال: **«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماءُ الجاهلية**

---

(١) برقم (١٢١٨).

موضوعة، وإن أول دم أضعُ من دمائنا دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ كان مُسْتَرْضعاً في بني سعدٍ فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضعُ ربانا، ربا عباسِ بنِ عبد المطلب، فإنه موضوع كلُّه، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح، ولهن عليكم رزقهُنَّ وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات، ثم أَذّن، ثم أقام، فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر».

وهي خطبة عظيمة تضمنت أصولاً عظيمةً، وقواعدَ جليلةً، وآداباً كريمة، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في وصف هذه الخطبة وبيانِ مضامينها إجمالاً: «فخطب الناسَ وهو على راحلته خطبةً عظيمة قرّر فيها قواعد

الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية، وقرر فيها تحريم المحرمات التي اتفقت المللُ على تحريمها، وهي الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كلَّه وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحق الذي لهنَّ والذي عليهن، وأن الواجب لهن الرزقُ والكِسوةُ بالمعروف، ولم يقدِّر ذلك بتقدير، وأباح للأزواج ضربهن إذا أدخلن إلى بيوتهن من يكرهه أزواجُهن، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسؤولون عنه، واستنطقهم: بماذا يقولون وبماذا يشهدون، فقالوا: «نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت»، فرفع أصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات، وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم»[1]. اهـ كلامه رحمه الله.

وقد تضمنت هذه الخطبةُ جملاً مهمة من أمور الدين وآدابه، وهي كما يلي ـ على ضوء ترتيبها في الحديث ـ:

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢٣٣).

الأولى: تحريم دماءِ المسلمين وأموالِهم، وأَكَّد ذلك عليه الصلاة والسلامُ تأكيداً بالغاً: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**» وكلُّهم يدرك حرمة بلد الله الحرام، وتَضَاعُفَ هذه الحرمة في اليوم الحرام وفي الشهر الحرام. فحرمة دم المسلم وماله شديدة كحرمة بلد الله الحرام في اليوم الحرام وفي الشهر الحرام، فما أعظمها حرمة.

الثانية: وَضْعُ كلِّ شيء من أمر الجاهلية وإبطالُهُ: «**ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدميّ موضوع، ودماءُ الجاهلية موضوعة، وإن أوّل دم أضع من دمائنا دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ، كان مُسْتَرضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأوّل رباً أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كلُّه**»، ففي هذه الجملة إبطالُ أفعال الجاهلية وبيوعها التي لم يتصل بها قبض، وأنه لا قصاص في قتلها، وقوله: «**تحت قدميّ موضوع**» إشارة إلى إبطاله. وقوله في الربا: «**إنه موضوع كله**»، المراد بالوضع الرد والإبطال.

الثالثة: الوصية بالنساء والحثُّ على الإحسان إليهن: «**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**». وهذه الجملة فيها مراعاة حق النساء، والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث كثيرة في الوصية بالنساء وبيان حقوقهن والتحذير من التقصير في ذلك.

الرابعة: الوصية بكتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله**» والقرآن كتاب هداية، جعله الله مرشداً للعباد إلى كل طريق نافع وسبيل قويم، يفرقون به بين الحق والباطل والهدى والضلال والخير والشر، فمن تمسك به هدي ومن اعتصم به لم يضل ومن اتبعه لا يشقى، وإنما اقتصر على الكتاب لأنه مشتمل على العمل بالسنة، فمن لم يعمل بالسنة لم

يعمل بالكتاب، وكذلك في قوله: «**وأنتم تسألون عني**» دلالة على العمل بالسنة.

الخامسة: إخبارهم بأنهم مسؤولون عنه ﷺ واستنطاقُهْم بماذا يجيبون «**وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون**؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: **اللهم اشهد اللهم اشهد** ثلاث مرات»، وقوله: «**وأنتم تسألون عني**» أي: عن تبليغي للرسالة، وقوله: «**فما أنتم قائلون**» أي: في حقي. وقولهم: «قد بلغت» أي: الرسالة، «**وأديت**» أي: الأمانة، «**ونصحت**» أي: الأمة، وقوله: «**اللهم اشهد**» أي: على عبادك بأنهم قد أقروا بأني قد بلغت، وكفى بك شهيداً.

[٣]

إبطال أمور الجاهلية

تقدم ذكرُ ألفاظ خطبة الوداع، تلك الخطبةُ العظيمة التي ألقاها النبي الكريم والناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه على مسامع الصحابة الكرام ﷺ في يوم عرفة المبارك، وتقدم أيضاً الإشارةُ إلى مكانة هذه الخطبة وأهميتها، وبيان مضامينها إجمالاً، وكان مما قرر فيها ﷺ وَضْعُ كلِّ شيء من أمر الجاهلية من الضلال والانحراف والخروج عن الملة الحنيفية السمحة.

يقول ﷺ: «**ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماءُ الجاهلية موضوعة، وإن أولَ دم أضع من دمائنا دمُ ابنِ ربيعةَ بنِ الحارثِ كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كلّه**»[1].

---

(١) قطعة من حديث جابر الطويل، وهو في «صحيح مسلم» (١٢١٨).

وهذا فيه بيان للحال البئيسة، والفساد العريض الذي كان عليه الناس قبل الإسلام في عباداتهم وتعاملاتهم؛ دماءٌ تراق، وأموال تنتهب، وأعراض تنتهك، حيث بلغ فيهم الجهل مبلغه والضلال غايته، فنالوا بذلك مقت الله ﷻ وسخطه.

روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلُّ مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»[1].

فانظر إلى هذه الحال التي التبس فيها الدين على أهل

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٢٨٦٥).

الأرض، وخيم الجهل والضلال، ونُزعت الرحمة، وشاع الظلم والعدوان، حتى جاء الله بالإسلام لينقذ البشرية وليشيعَ الخيرُ ويَشِعَّ الضياء.

نعم، جاء الإسلامُ بالعلم والنور، والخير والهداية، والصلاح والرفعة، وهدم سفهَ الجاهليةِ وغَيَّها، وضلالَها وانحرافها، وظلمها وظلامها، فخرج الناس بدعوته وضيائه من الكفر إلى الإيمان، ومن الغي إلى الرشد، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١].

لقد وافتْ رسالتُهُ ﷺ أهلَ الأرض أحوجَ ما كانوا إليها، فإنهم كانوا بين عبّادِ أوثانٍ، وعبّادِ نيرانٍ، وعبادِ كواكبٍ، ومغضوبٍ عليهم قد باؤوا بغضب من الله، وحيرانٍ لا يعرف ربّاً يعبده، ولا بماذا يعبده، والناسُ يأكلُ بعضُهم بعضاً، مَنِ استحسن شيئاً دعا إليه، وقاتل من خالفه، وليس في الأرض موضعُ قدمٍ مشرقٌ بنور الرسالة، فأغاث الله به البلاد والعباد، وكشفَ به تلك الظُّلَم، وأحيا

الخليقة بعد الموت، فهدى به من الضلالة، وعلَّمَ به من الجهالة، وكثَّرَ به بعد القلة، وأعز به بعد الذِلة، وأغنى به بعد العَيلة، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، فعرَّف ﷺ الناس ربهم ومعبودهم غايةَ ما يمكن أن تَناله قواهُم من المعرفة، وانجابت عنهم سحائبُ الشكِّ والريب، وعَرَّفهم الطريقَ الموصلَ إلى ربهم ورضوانِه ودارِ كرامته فلم يدع حسناً إلّا أمرهم به، ولا قبيحاً إلا نهاهم عنه، وعَرَّفهم حالَهم بعد القدوم على ربهم أتم تعريف، فهدى الله به القلوبَ من ضلالها، وشفاها من أسقامها، وأغاثها من جهلها[1]. فما أعظم نعمة الله على عباده ببعثته حيث اندحرت الجاهليةُ، وحلَّ النور، وانقشع الظلام، وشع الضياء.

وانظر إلى عزة الإسلام العظيمة، ورفعته وشموخه، ففي مكة حيث كانت تخيمُ الجاهليةُ ويهيمنُ الضلالُ يضعُ النبيُّ ﷺ كلَّ ضلالِ الجاهليةِ تحت قدميه الشريفين

---

(١) ينظر جلاء الأفهام لابن القيم (ص: ١٩٢ ـ ١٩٥).

صلوات الله وسلامه عليه، ليعلو نورُ الإسلام وضياء الدين، ولتندحر الجاهليةُ الجهلاء والضلالةُ العمياء. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

فلله الحمد الذي أنقذنا معاشر المسلمين ببعثة محمد ﷺ من تلك الظلماتِ والجهالات، وفتَحَ لنا به باب الهدى والخضوعِ لرب الأرض والسماوات، وأغنانا بشريعته التي تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمنُ الأمرَ بالعدل والإحسان، والنهيَ عن الفحشاء والمنكر والبغي،

فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا، وإليه الرجاء والرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة.

والواجب على كل مسلم أن يعرف لهذه النعمة قدرها، وأن يحفظ لها مكانتها، وأن يحافظ عليها، صلاحاً في نفسه، وإصلاحاً في مجتمعه، سائراً على سنن الإسلام المستقيم وصراطه القويم، حَذِراً غاية الحذر من أعمال الجاهلية وغيها وسفهها وضلالها، لينال رضى الله ورحمتَه، وليسلم من سخطه سبحانه ومقته، وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثةٌ: ملحد في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنةَ الجاهلية، ومطّلبٌ دمَ امرىء بغير حق ليهريق دمه**». رواه البخاري في صحيحه[1] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ولا تفوت الإشارةُ هنا إلى كتاب نافع ومؤلف قيم في هذا الباب العظيم، ألا وهو كتاب «**المسائلُ التي خالفَ**

---

(١) برقم (٦٨٨٢).

فيها رسولُ الله ﷺ أهلَ الجاهلية» للإمام المصلح، والعلامة المجدد شيخِ الإسلام محمدِ بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ ينبغي أن يفيدَ منه كلُّ مسلم؛ ولذا قال في مقدمته: «هذه أمور خالف فيها رسولُ الله ﷺ ما عليه أهلُ الجاهلية الكتابيين والأميين مما لا غناء لمسلم عن معرفتها». فجزاه الله خيراً ونفع بعلومه ونصحه، وأعاذنا سبل أهل الجاهلية ومسالك أهل الزيغ والضلال، إنه سبحانه خير مسؤول.

[٤]

الوصية بالنساء

إن مما جاء في خطبة النبي ﷺ يومَ عرفة وصيتَهُ ﷺ بالنساء، ومراعاةِ حقوقهنَّ، والإحسانِ إليهن، ومعاشرتِهنَّ بالمعروف، قال ﷺ: «**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشَكُم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[١].

وهي وصية عظيمة بالمرأة، من تقوى الله ﷻ القيامُ بها ومراعاتُها، لقوله: «**فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله**» أي: أن لهن أماناً فلا يؤذين، فهنَّ آمنات عندكم بأمان الله.

---

(١) هو في «صحيح مسلم» (١٢١٨) بطوله، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقوله: «**واستحللتم فروجهن بكلمة الله**» أي: إذنِهِ لكم وشرعِهِ وتحليلِهِ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

فلتقر المرأةُ المسلمةُ عيناً بهذه الحفاوة والإكرام. والرعاية والإحسان، حيث خصّها رسولُ الله ﷺ بالوصية بها خيراً في هذا المقام العظيم، وفي هذه الخطبة العظيمة خطبةِ الوداع، كما أنه ﷺ خصها بالوصية بها في غير مقام، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقت من ضِلَع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذَهبتَ تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»[1].

وهنا يجب أن تعيَ المرأةُ المسلمة أنها تعيش تحت ظلال الإسلام حياةَ عزٍّ وكرامة، وحشمةٍ ونيلٍ لحقوقها

(١) «صحيح البخاري» رقم (٣٣٣١)، و«صحيح مسلم» رقم (١٤٦٨).

الشرعية التي أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه المرأة في الجاهلية.

ومن ينظر لحال المرأة المسلمة في ظل تعاليم الإسلام الكريمة، وتوجيهاته العظيمة، يجد أن الإسلام منقذ للمرأة من براثن الرذيلة، ومخلص لها من حمأة الفساد، إذ هي في كنفه تعيش حياة الطهر والعفاف، والستر والحياء، منيعة الجانب، رفيعة القدر، ومن يقارن بين حالها في ظل الإسلام وأحوالها في الجاهلية يجد الفرق الشاسع، والبون العظيم في نكاحها وأسلوبِ التعامل معها.

روى البخاري في صحيحه[1] عن عروة بن الزبير أن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ أخبرته: «أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاحُ الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيُصْدِقها ثم يَنْكحها، ونكاحٌ آخر كان الرجلُ يقول لامرأته إذا طَهُرت من طمثها أَرسلي إلى فلانٍ فاستبضعي منه، ويعتزلها

---

(١) برقم (٥١٢٧).

زوجُها ولا يمسُّها أبداً حتى يتبين حملُها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملُها أصابها زوجُها إذا أحب، وإنما يَفعلُ ذلك رغبة في نجابةِ الولد، فكان هذا النكاحُ نكاحَ الاستبضاع، ونكاحٌ آخر، يجتمعُ الرهطُ ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلُّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليلٌ بعدَ أن تضعَ حملَها أرسلت إليهم، فلم يستطعْ رجلٌ منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد وَلدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيُلحق به ولدُها، ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل، والنكاحُ الرابع: يجتمع الناسُ الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهنَّ البغايا، كنَّ ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جُمعوا لها ودَعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلمّا بعث محمدٌ ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كلَّه إلا نكاح الناس اليوم». انتهى خبر عائشة رضي الله عنها.

وقد كانت المرأة في الجاهلية تشترى وتباع كالبهيمة والمتاع، وكانت تُكره على الزواج وعلى البغاء، وكانت تُورث ولا تَرث، وكانت تُملك ولا تَملك، وكان أكثرُ الذين يملكونها يَحْجُرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل، وكانوا يرون للزوج الحقَّ في التصرف بمالها من دونها إلى غير ذلك من أنواع الظلم والاضطهاد الذي كانت تقاسيه المرأة وتتجرع مرارته فأنقذها الله بالإسلام.

إن الدين الإسلامي الحنيف بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته الحكيمة صان المرأة المسلمة وحفظ لها شرفها وكرامتها، وتكفل بتحقيق عزها وسعادتها، وهيأ لها أسباب العيش الهنيء، بعيداً عن مواطن الريب والفتن، والشر والفساد، وتُعَدُّ توجيهاتُ الإسلام وإرشاداتُه صِمامَ أمانٍ للمرأة، بل للمجتمع بأسره من أن تحلَّ به الشرورُ والفتن، وأن تنزل به البلايا والمحن، وإذا ترحلت ضوابطُ الإسلام المتعلقةُ بالمرأة عن المجتمع حل به الدمار، وتوالت عليه الشرور والأخطار، والتاريخ من أكبر الشواهد على ذلك، إذ مَنْ يتأمَّلِ التاريخَ على طول مداه يجِدْ أن

من أكبر أسباب انهيار الحضارات وتفكك المجتمعات. وتحلل الأخلاق، وفشو الرذائل، وفساد القيم، وانتشار الجرائم هو تحللُ المرأة من تعاليم الدين القويمة. وإرشاداته الحكيمة، وتوجيهاته المباركة.

ومن الواجب على المرأة المسلمة أن تتلقى كلَّ تعاليم الإسلام بانشراح صدر، وطيب قلب، وحسن تطبيق وعمل، لتحيى حياة هنيئة، وتفوز برضا ربها وسعادة الدنيا والآخرة، ومن الواجب على أولياء أمور النساء حسنْ رعايتهن وتأديبهن بآداب الإسلام، وحفظُ حقوقهن، وإكرامهُن والإحسانُ إليهن طاعةً لله سبحانه، وطلباً لثوابه، وتحقيقاً لتقواه، والله وحده المستعان لا رب سواه، ولا حول ولا قوة إلّا به.

[٥]

تحريم الدماء والأموال والأعراض

لقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ خطب الناس يوم النحر وكان أعظمَ ما أكد عليه تحريمُ دماء المسلمين وأموالِهم وأعراضهم، وقد جاء في هذا عدّة أحاديث عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

منها حديثُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «**يا أيها الناس، أيُّ يوم هذا؟** قالوا: يوم حرام. قال: **فأيُّ بلد هذا؟** قالوا: بلد حرام. قال: **فأيُّ شهر هذا؟** قالوا: شهرٌ حرام. قال: **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا**، فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: **اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟** - قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته -، **فليبلغ الشاهدُ**

الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». رواه البخاري[1].

وحديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه قال: «خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: «**أتدرون أيَّ يوم هذا**؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **أليس يومُ النحر**؟ قلنا: بلى. قال: **أيُّ شهر هذا**؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: **أليس ذو الحجة**؟ قلنا: بلى. قال: **أيُّ بلد هذا**؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **أليست بالبلدة الحرام**؟ قلنا: بلى. قال: **فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت**؟ قالوا: نعم. قال: **اللهم اشهد، فليبلغ الشاهدُ الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**».

---

(١) رقم (١٧٣٩).

متفق عليه[1].

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ بمنى: «**أيُّ يوم هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: **فإن هذا يوم حرام، أفتدرون أيَّ بلد هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **بلد حرام، أفتدرون أيَّ شهر هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **شهر حرام**، قال: **فإن الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا**». رواه البخاري[2].

وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال له في حجة الوداع: «**استنصت الناس**»، فقال: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[3]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقد دلت هذه الخطبة العظيمة، والكلمات القويمة،

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (١٧٤١)، و«صحيح مسلم» رقم (١٦٧٩).

(٢) رقم (١٧٤٢).

(٣) «صحيح البخاري» رقم (١٢١)، و«صحيح مسلم» رقم (٦٥).

على عظم حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وعصمتِها، وأنه لا يحل الاعتداءُ عليها بأيِّ نوع من الاعتداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله، قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**»[1]، وقال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[2]، وقال ﷺ: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله**»، وقال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**، قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: **إنه أراد قتل صاحبه**»[3]، وقال: «**لا ترجعوا بعدي**

---

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[1]، وقال: «**إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما»**[2]. وهذه الأحاديث كلها في الصحاح»[3].اهـ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد أكد النبي ﷺ حرمة هذه الثلاث، الدماءِ والأموال والأعراض تأكيداً بالغاً، وغلظ شأنها تغليظاً عظيماً، وجَعل حرمتها كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام، وكرر ذلك على أسماعهم اهتماماً بالمقام وتعظيماً للأمر، وأمر شاهدَهم أن يبلغ غائبهم بذلك، وقد استدعى عليه الصلاة والسلام اهتمامهم، وشدَّ أذهانهم بسؤالهم عن اليوم الذي هم فيه، وعن الشهر وعن البلد، وذَكَّرهم بحرمتها، وحُرمتُها معلومةٌ عندهم متقررةٌ في نفوسهم، وهو عليه الصلاة والسلام إنما ذكر ذلك توطئة لبيان حرمة دم المسلم وماله وعرضه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما شبه حرمة الدم

---

(١) رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) عن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٣).

والعرض والمال بحرمة اليوم والشهر والبلد لأن المخاطبين بذلك كانوا لا يرون تلك الأشياء، ولا يرون هتك حرمتها، ويعيبون على من فعل ذلك أشدّ العيب، وإنما قدم السؤال عنها تذكاراً لحرمتها، وتقريراً لما ثبت في نفوسهم ليبني عليه ما أراد تقريره على سبيل التأكيد»[1]. اهـ.

ثم إن النبي ﷺ حذر تحذيراً آخر في هذه الخطبة يتعلق بالدماء وحرمتها فقال: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[2].

وهذا تحذير بالغ، «فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق كفاراً، وسمى هذا الفعل كفراً»[3]، وليس هذا بالكفر الناقل من ملة الإسلام، بل هو كفر دون كفر، وهو يدل على أن هذا العمل من شعب الكفر الذميمة وخصاله المشينة، وقد جاء الإسلام بالتحذير منها والنهي

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٥٧٦).
(٢) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.
(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٧/ ٣٥٥).

عنها، تحقيقاً للوئام، وجمعاً للقلوب، وحفظاً للدماء أن تزهق بغير حق وأن تراق بلا موجب، وفي معنى هذا الحديث قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[1].

فالواجب على كل مسلم أن يكون على حذر شديد من الوقوع في هذا الإثم المبين والذنب الوخيم ألا وهو الاعتداء على دماء المسلمين أو أموالهم أو أعراضهم.

وقد كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن اكتب إليَّ بالعلم كلِّه. فكتب إليه: «إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم، فافعل»[2].

فيا لها من نصيحة ما أبلغها، وعلمٍ نافع ما أجمعه، وبالله وحده التوفيق.

---

(١) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٢٢).

[٦]

خمسُ خصال موجبةٌ لدخول الجنة

ومما ورد في ذكر خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع حديثُ أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «**اتقوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة مالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم**»[1]. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد والحاكم بلفظ: «**اعبدوا ربكم**»[2].

وهي وصية جامعة في ذكر موجبات دخول الجنة، وأسباب الظفر بنعيمها، والفوز بخيراتها وملذاتها، وهي

---

(١) «سنن الترمذي» رقم (٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٣٣٧).

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٢٥١)، و«مستدرك الحاكم» (١/ ٩). وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٨٦٧).

الدار التي أعدها الله لعباده المطيعين وأوليائه الصالحين، وجعل فيها من النعيم الكريم والثواب العظيم، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧]، وفي قوله ﷺ في هذا الحديث: «**تدخلوا جنة ربكم**» إضافة الجنة إلى الرب سبحانه، وهذا فيه تشريفٌ لها، وتعليةٌ لشأنها، ورفعٌ لقدرها.

وقد ذكر النبي ﷺ خمسة أسباب عظيمة لدخول الجنة ونيل ما فيها من ثواب ونعيم.

الأول: قوله: (**اتقوا ربكم**) أي بفعل أوامره، والبعد عن نواهيه، فأصل التقوى أن يجعل العبدُ بينه وبين ما يخافه وقاية تقيه منه، وتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعلُ طاعته، واجتنابُ معاصيه، كما قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تقوى الله عمل بطاعة الله على نور من الله رجاءُ رحمة الله، وترك معصية الله على نور من الله

خيفة عقاب الله»[1]. فتقوى الله ﷻ جدٌّ واجتهاد، ونصح للنفس بطاعة الله والتقرب إليه بما يرضيه، ولا سيما فعلُ الفرائض والواجبات، والبعدُ عن المعاصي والمنكرات.

ويدخل في تقوى الله الإيمانُ بأصول هذا الدين وعقائده القويمة، والقيام بشرائع الإسلام وعبادته، فكل ذلك من خصال التقوى ومن أوصاف المتقين، كما قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثاني: قوله: **(وصلوا خمسكم)** أي: حافظوا على

---

(١) رواه عبد الله بن المبارك في «الزهد» رقم (١٣٤٣)، وهناد بن السري في «الزهد» رقم (٥٣٢). وصححه الألباني في «تخريج كتاب الإيمان» لابن أبي شيبة (ص٣٩).

الصلوات الخمس المفروضة، فإن المحافظة عليها من موجبات دخول الجنة، وإضاعتَها من موجبات دخول النار، وهي عماد الدين وآكد أركانه بعد الشهادتين، وهي صلة بين العبد وربه، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإذا صلحت صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسد سائر عمله، وهي الفارقة بين المسلم والكافر، فإقامتها إيمان، وإضاعتها كفر، فلا دين لمن لا صلاة له، ولا حظَّ في الإسلام لمن ضيع الصلاة.

ففي المسند وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيِّ بن خلف**»[1].

(١) «مسند أحمد» (٢/ ١٦٩)، و«صحيح ابن حبان» (١٤٦٧).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٢): «ورجال أحمد ثقات»، وحسَّن إسناده الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في «مجموع فتاويه» (١٠/ ٢٧٨).

الثالث: قوله: **(وصوموا شهركم)** أي: شهر رمضان المبارك بالامتناع في نهاره عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، وهو شهر واحد يمر كلَّ عام كتب الله على العباد صيامه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]، وهي قليلة وصيامها في غاية اليسر والسهولة، يجتمع فيه المسلمون كلُّهم على أداء هذه الطاعة، فيتركون فيه شهواتهم الأصليةَ من طعام وشراب ونكاح، ويعوضهم الله عن ذلك من فضله وإحسانه تتميمَ دينهم، وزيادة كمالهم، ونيل أجره العظيم وبره العميم، وفي الجنة باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون.

الرابع: قوله: **(وأدوا زكاة مالكم)** أي التي فرض الله عليكم، وجعلها حقاً في المال، وهي لا تجب على فقير ليس عنده نصاب زكوي، وإنما تجب على الأغنياء تتميماً لدينهم وإسلامهم، وتنمية لأموالهم وأخلاقهم، ودفعاً للآفات عنهم وعن أموالهم، وتطهيراً لهم من السيئات ومواساةً لمحاويجهم وفقرائهم، مما يدل على كمال هذه العبادة وعظم نفعها.

الخامس: قوله: **(وأطيعوا ذا أمركم)** وفي هذا الأمر بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية الله والنصح لهم، وعدم الخروج عليهم، ونزع اليد من طاعتهم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، ومن تأكيد النبي ﷺ على هذا الأمر في حجة الوداع ما رواه مسلم في صحيحه[١] عن يحيى بن حصين قال: سمعت جدتي تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: «**ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا**»، فالواجب اتخاذ ذلك ديناً وقربة يُتقرب بها إلى الله ﷻ، فالذي أمر بطاعة ولاة الأمر هو الذي أمر بالصلاة والصيام والزكاة، وكلُّ ذلك من موجبات دخول الجنة ونيلِ رضا الله ﷻ.

وقد أضيفت هذه الخصالُ الخمس في الحديث إلى المؤمنين لأنها من خصوصيتهم وموجبات كمالهم.

---

(١) برقم (١٨٣٨).

قال الطيبي رحمه الله: «حكمةُ إضافةِ هذا وما بعده إليهم إعلامُهُم بأن ذواتِ هذه الأعمالِ بكيفيتها المخصوصة من خصوصياتهم التي امتازوا بها عن سائر الأمم، وحثُّهُم على المبادرة للامتثال بتذكيرهم بما خوطبوا به، وتذكيرُهم بأن هذه الإضافةَ العمليةَ يقابلها إضافةٌ فضليةٌ هي أعلى منها وأتمُّ، وهي الجنةُ المضافةُ إلى وصف الربوبية المشعرِ بمزيد تربيتهم وتربيةِ نعيمهم بما فارقوا به سائر الأمم»[1]. اهـ.

اللهم إنا نسألك التوفيق لدخول الجنة دار النعيم المقيم، والإعانة على القيام بموجبات دخولها إنك سميع مجيب.

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٣/ ٢٣٨).

[٧]

بيان مَن المؤمن، ومَن المسلم، ومَن المجاهد، ومَن المهاجر

روى الإمام أحمد في مسنده عن فضالة بن عبيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**»[١].

فهذا الحديث الذي هو من جملة وصايا النبي ﷺ وتعليمه لأمته في حجة الوداع فيه بيان لكمال مسميات هذه الأسماء الجليلة: الإيمانِ والإسلام والجهاد والهجرة،

---

(١) «مسند أحمد» (٦/ ٢١)، وصححه الألباني ﵀ في «الصحيحة» (٥٤٩).

وبيانٌ للمستحقين لهذه الأسماء على الحقيقة الواجبة لهم، والتي يترتب عليها السعادة التامة في الدنيا والآخرة، وذكرٌ لحدودها بكلام جامع شامل.

١ ـ فالمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فإن الإيمان إذا تمكن في القلب، وامتلأ القلب به أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي من أهمها: رعاية الأمانات، والصدق في المعاملات، والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه وأمنوه على دمائهم وأموالهم ووثقوا به، لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات، فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان كما قال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»(١).

٢ ـ والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وذلك أن الإسلام الحقيقي هو الاستسلام لله وتكميلُ عبوديته

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٣٥)، وابن حبان (١٩٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح موارد الظمآن» (٤٢).

والقيام بحقوق المسلمين ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شر لسانه وشر يده، فإن هذا أصل هذا الفرض الذي عليه المسلمون، فمن لم يسلم المسلمون من لسانه أو يده كيف يكون قائماً بالفرض الذي عليه لإخوانه المسلمين؟ ومن بسط في المسلمين يده ولسانه أذىً وعدواناً أين هو من تحقيق الإسلام؟ فسلامتهم من شره القولي والفعلي عنوان على كمال إسلامه.

وفي هذا دلالة على أن المؤمن أعلى رتبة من المسلم، فإن من كان مأموناً على الدماء والأموال كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ولولا سلامتُهم منه لما ائتمنوه، وليس كلُّ من سلموا منه يكون مأموناً عندهم، فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون إليه خوفاً أن يكون ترك أذاهم لرغبة أو رهبة لا لإيمان في قلبه.

ففسر المسلمَ بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه، وفسر المؤمنَ بأمر باطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة أعلى من تلك.

٣ ـ والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، وذلك أن النفس ميالةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أمارةٌ بالسوء. سريعةُ التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات، امتثال المأمور واجتناب المحظور، والصبر على المقدور، فالمجاهد حقيقة من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها.

وجهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى

والبينات، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويحتمل ذلك كله لله، ذكر هذه المراتب العلامة ابن القيم رحمه الله[1].

وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه**»[2].

وإذا قصّر المسلمون في جهاد أنفسهم ضعفوا عن جهاد أعدائهم، فيحصل بذلك ظهورٌ لأعدائهم عليهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وحيث ظهر الكفار فإنما ذلك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله»[3]. اهـ.

٤ ـ والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، وهذه

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦).

(٢) رواه ابن النجار عن أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٠٩٩).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٤٥٠).

الهجرة فرض عين على كلِّ مسلم لا تسقط عن كل مكلّف في كل حال من أحواله، فإن الله حرم على عباده انتهاك المحرمات والإقدام على المعاصي والذنوب، وأوجب عليهم الإقبال على طاعته واتباع رسوله ﷺ، وهي هجرة تتضمن (من) و(إلى) فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غير الله إلى عبوديته، ومن خوف غير الله ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غير الله وسؤاله والخضوع له والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له. ومن غِشْيان الذنوب وارتكابها إلى التوبة منها، والإقبال على الله وحده خوفاً وطمعاً وخشوعاً وتذللاً. وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[1]. والله ﷻ نهى عن الشرك، وعن اتباع الأهواء، وعن فعل المعاصي والذنوب، فالمهاجر حقاً من هجر هذه الأمور وأقبل

(١) «صحيح البخاري» رقم (١٠)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

على الله وحده مخلصاً، ولنبيه ﷺ متابعاً، وللذنوب والمعاصي مجانباً ومباعداً.

وعلى كلٍّ فهذا الحديث من قام بما دل عليه فقد قام بالدين كلِّه: من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، وهجر ما نهى الله عنه، وجاهد نفسه على طاعة الله، فإنه لم يُبْقِ من الخير الديني والدنيوي الظاهري والباطني شيئاً إلا فعله، ولا من الشر شيئاً إلا تركه، والله وحده الموفق[1].

---

(١) ينظر بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي (١٧ ـ ١٩).

[٨]

الدعوة لحملة السُّنَّة بالنَّضرة

ومن خطب النبي ﷺ في حجة الوداع خطبته بالخيف من منى كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من ورائهم**»[(١)].

رواه أحمد وابن ماجه والدارمي والحاكم وغيرهم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٨٠)، وابن ماجه (٣٠٥٦)، والدارمي (٢٢٨)، والحاكم (١/ ٨٦ - ٨٧). وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل له، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم»[1]. رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان وغيرهم، ورواه أبو نعيم في كتابه أخبار أصبهان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خطب رسول الله ﷺ في هذا المسجد مسجد الخيف»، قال: وذكر الحديث[2].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم. وقال:

---

1) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (١/ ٤٣٧)، وابن حبان (٦٦). وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٦١).

2) رواه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٩٠).

من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا، فرّق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلّا ما كتب له». رواه أحمد والدارمي وابن حبان وغيرهم[1].

وقد روى هذا الحديث جمع من الصحابة بلغت عدتهم أكثر من عشرين صحابياً منهم غير من تقدم: معاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وأنس بن مالك، والنعمان بن بشير، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله ﷺ، ولذا عدّه غير واحد من أهل العلم في جملة الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ، ولعل من أسباب تواتره كون النبي ﷺ خطب به الناس في مسجد الخيف من منى.

والخيف ما ارتفع عن مجرى السيل، وانحدر عن غلظ الجبل، ومسجد منى يسمى مسجد الخيف لأنه في سفح

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، والدارمي (٢٢٩)، وابن حبان (٦٧). وصحححه الألباني رحمه الله في «صحيح موارد الظمآن» (٦٣).

جبلها، وهو في زماننا هذا مسجد كبير واسع يتسع لآلاف المصلين مع كافة خدماته، قامت على بنائه والعناية به الدولة فقها الله وحرسها، وتقام فيه أيام الحج دروس عديدة، كما حصص فيه أماكن متعددة لإجابة المستفتين وإرشاد السائلين.

وإنما خطب ﷺ الناس بمنى ليتلقى عنه الجمع الغفير الذي شهد حجته ﷺ تعاليم الدين، ويبثوا ما يسمعونه في قطار الأرض.

والحديث بمجموع طرقه يشتمل على أربع جمل رئيسة:

الجملة الأولى: هي المشتملة على الدعوة لسامعي الحديث ومبلغيه غيرهم.

الجملة الثانية: هي المتضمنة بيان الفائدة من تبليغ الحديث وهي استنباط ما فيه من الفقه.

الجملة الثالثة: المبدوءة بقوله ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم...**».

الجملة الرابعة: المبدوءة بقوله ﷺ: «**من كان همه لآخرة جمع الله شمله...**».

وقد صدّر ﷺ حديثه هذا بدعوة مباركة ميمونة، خص بها

رسول الله ﷺ من سمع حديثه، ووعاه وبلّغه كما سمعه، ولو لم يكن في فضل العلم وبيان شرفه إلّا هذا الحديث لكفى به شرفاً، فإن هذه الدعوة النبوية الكريمة المباركة متضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاجِ الباطن به، وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه، ولهذا يَجْمع له سبحانه بين البهجة والسرور والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: ١١]، فالنضرة في وجوههم، والسرور في قلوبهم، ثم ما يتلقون من نعيم وثواب على ذلك يظهر نضارة على وجوههم كما قال تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾ [المطففين: ٢٤].

ولا ريب أن هذه الدعوة المباركة لمن حمل السنة وبلغها للأمة بالنضرة تحمل البشارة لمن وقف نفسه، ووفر جهده لخدمة السنة وإبلاغها، وفي هذا حفز للهمم وإذكاء للعزائم، وحمل للنفوس على الجد والمثابرة، والصبر والمصابرة، وبذل الوسع في تحقيق ذلك.

وقد دل الحديث على أن للعلم الذي استحق أهلُه هذه لبشارة أربعَ مراتب:

أولها وثانيها: سماعه وعقله، فإذا سمعه ووعاه بقلبه، أي: عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه، وكذلك عَقْلُه هو بمنزلة عقل لبعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب.

والمرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب.

والمرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا يُنفق منه وهو معرض لذهابه، فإن لعلم ما لم يُنفق منه ويُعلَّم فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أُنفق منه نما وزكا على الإنفاق.

وإنما دعا ﷺ لسامع السنة ومبلغها بالنضارة جزاءاً وفاقاً لما قام به من بثها، وجعلها بذلك غضة طرية، وسعى في نضارة العلم وإحياء السنة فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله، وقد جاء عن سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «ما من أحد يطلب الحديث إلّا وفي وجهه نضرة».

[٩]

ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب المسلم

سبق ذكر خطبة النبي ﷺ في مسجد الخيف بمنى، وبيان اشتمالها على أربع جمل رئيسة مضى الحديث عن الجملة الأولى منها وهي دعوته ﷺ لمن سمع حديث النبي ﷺ ووعاه وحفظه وبلغه كما سمعه.

أما الجملة الثانية: وهي المتضمنة لبيان الفائدة من تبليغ حديث النبي ﷺ وهي وصوله إلى من يكون أمكن في حفظه وفهمه، وذلك في قوله ﷺ: «**فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»، وفي الرواية الأخرى قال: «**رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»، ومعنى ذلك: أنه قد يحفظ من لا يفهم، وقد يفهم وغيره أفهم منه، والذي حفظ ولم يفهم مأجور لحفظه السنة وتبليغها، والذي حفظ وفقه أكمل

منه، فيكون مأجوراً لحفظه وتبليغه واستنباطه من الحديث ما أمكنه استنباطه فهو يبلغه لغيره، وقد يكون الذي بلغه إليه أفقه منه فيستنبط منه ما لم يفهمه الحامل.

وأما الجملة الثالثة: فهي قوله ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»، وهو مشتمل على هذه الخصال العظيمة التي لا يغل عليهن قلب المسلم، وقد ذكر عليه الصلاة والسلام هذه الخصال عقب دعوته لمن سمع السنة ووعاها، وحفظها وبلغها بالنضرة، وهو في غاية المناسبة، وذلك أنه لما كان هذا الثواب العظيم لمن بلغ سنة رسول الله ﷺ يفتقر كسائر الأعمال إلى الإخلاص لله، وعقد النية على النصح للمسلمين ولزوم جماعتهم عقّب ﷺ دعوته الميمونة المباركة لمبلغي سنته بما يدلُّ على أهمية الإخلاص في الأعمال لله، والنصح للمسلمين، ولزوم جماعتهم بقوله: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**»، قال ذلك؛

لأن هذه الخصال الثلاث تستصلح بها القلوب، وتهذب بها النفوس، وباستشعارها وعقد القلب عليها يكون المسلم جديراً بتحصيل الثواب الجزيل، والأجر العظيم المذكور في الحديث.

وفي قوله ﷺ في الحديث: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم**» دلالة على أن قلب المسلم لا يحمل الغلّ ولا يبقى فيه الغش، إذا كان متصفاً بهذه الصفات الثلاثة المذكورة في الحديث، لأنها تنفي الغش وتبعده عن القلب.

فالمخلص لله إخلاصه يمنع غلّ قلبه، ويخرجه ويزيله جملة، لأنه قد انصرفت دواعي قلبه وإرادته إلى مرضاة ربه وطلب ثوابه، فلم يبق فيه موضع للغلِّ والغش كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فلما أخلص لربه صرف عنه دواعي السوء والفحشاء، ولهذا لما علم إبليس أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص استثناهم من شرطته التي اشترطها للغواية والإهلاك، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣]، وقال

تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحجر: ٤٢].

وقوله ﷺ في الحديث: «**والنصح لأئمة المسلمين**» هذا أيضاً منافٍ للغل والغش، فإن النصيحة لولاة الأمر لا تجامع الغل إذ هي ضدّه، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل، والنصح لأولي الأمر من المسلمين إنما يكون بالسمع والطاعة لهم في المنشط والمكره أبراراً كانوا أو فجاراً، وإنما الطاعة في المعروف، فإن أمروا بمعصية الله فلا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، وبإرشادهم للخير وترغيبِهم فيه، وتحذيرهم من الشر وتنفيرهم منه، والدعاء لهم بالصلاح والمعافاة، وعدمَ الدعاء عليهم لمنافاة ذلك للنصيحة، لأن جماع النصيحة هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان.

وقوله ﷺ في الحديث: «**ولزوم جماعتهم**» وهذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسرّه ما يسرهم، مع

الموافقة لهم في العقيدة والعمل، والحذر من الخروج عن زمرتهم؛ لئلا تتلقفه الشياطين التي تعمل في الإنسان أعظم من عمل الذئاب فيما يندُّ من الغنم.

وقوله ﷺ في الحديث: «**فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**» هو من أحسن الكلام وأوجزه وأفخمه معنى، حيث شبّه دعوة المسلمين بالسور والسياج المحيط بهم، المانع من دخول عدوِّهم عليهم، فتلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام ـ وهم داخلوها ـ لما كانت سوراً وسياجاً عليهم أخبر ﷺ أن من لزم جماعة المسلمين أحاطت به تلك الدعوة التي هي دعوة الإسلام كما أحاطت بهم، فالدعوة تجمع شمل الأمة وتلمُّ شعثها وتحيط بها، فمن دخل في جماعتها أحاطت به وشملته، وبذلك أيضاً يكون للمسلم الملازم لجماعة المسلمين نصيب من دعواتهم الطيبة التي تصدر من آحادهم شاملة لعمومهم.

وأما الجملة الرابعة في الحديث: فهي قوله ﷺ: «**من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرَّق الله عليه**

ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له» وهذا كله راجع إلى الخصلة الأولى من الخصال الثلاث وهي إخلاص العمل لله، فمن أخلص نيته لله وأراد الآخرة يملأ الله قلبه بالغنى، ويبعد الفقر عنه، ويلم شعثه، ويسوق إليه الدنيا من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب، ومن لم يخلص عمله لله وكان همه الدنيا فإن الله يعاقبه في الدنيا بهذه العقوبات، فيسلب قلبه الغنى ويحول بينه وبين الراحة والطمأنينة فتستولي عليه الهموم، ويبدله بهذا الغنى الذي نزع من قلبه أن يجعل فقره بين عينيه فيكون دائما أمامه لا يغيب عنه، وأحاطت به النكبات من كل جانب[1].

(١) ينظر كتاب: دراسة حديث: **«نضر الله امرأً سمع مقالتي»** رواية ودراية، للوالد الكريم الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله.

[١٠]

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

إن من المعاني العظيمة التي أكّد عليها رسول الله ﷺ وقرّرها في حجة الوداع لزومَ تقوى الله ﷻ، والحرصَ على نيل رفيع الرتب، وعالي الدرجات بتحقيقها لا بالفخر بالأنساب والأحساب، فالكلُّ بنو آدم، وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي إلّا بتقوى الله ﷻ.

روى الإمام أحمد في مسنده(١) عن أبي نضرةَ قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ**

---

(١) «المسند» (٥/ ٤١١)، رقم (٢٣٤٨٩)، قال ابن تيمية في الاقتضاء (١/ ٤١٢): بإسناد صحيح. وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٦/ ٤٥٠).

أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلّا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ».

فقرّر ﷺ في هذه الخطبة العظيمة والبيان البليغ أن التفاضل ونيلَ الفضل إنما هو بتقوى الله ﷻ لا بأيِّ أمر آخر، كما قال الله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات:١٣]، فأكرم الناس عند الله أتقاهم له، أي: أكثرهم محافظة على طاعته، وانكفافاً عن معصيته، إذ التقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله رجاءَ ثواب الله، والبعدُ عن معصية الله على نور من الله خيفةَ عقاب الله. وعلى قدر منازل الناس من التقوى تكون منازلهم عند الله، والله جلَّ وعلا عليم خبير، يعلم من يقوم بتقواه ظاهراً وباطناً ممن لا يقوم، ويجازي كلّاً بما يستحق.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم**

عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **فأكرم الناس يوسفُ نبيُّ اللهِ ابنُ نبيِّ الله ابنِ نبي الله ابن خليل الله**، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **فعن معادن العرب تسألون؟** قالوا: نعم، قال: **فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»**[1].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[2]، وفي المسند للإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: **«انظر، فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلّا أن تفضله بتقوى»**[3].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فالناس إنما

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٣٣٥٣)، و«صحيح مسلم» رقم (٢٣٧٨).

(٢) «صحيح مسلم» [٣٤ ـ (٢٥٦٤)].

(٣) «مسند أحمد» (٥/ ١٥٨)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٥٠٥).

يتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب والأنساب، والصور والأموال، والله ﷻ رتب الجزاء والثواب على تحقيق التقوى، والقيام بطاعته سبحانه، فبذلك تثقل الموازين وترتفع الدرجات.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٣].

وفي الحديث قال ﷺ: «**ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(١)]، ومعناه: أن العمل هو الذي يَبْلغ بالعبد درجات الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، فمن بطّأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى لم يسرع به نسبه فيبلغ به تلك الدرجات، فإن الله رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب، وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال كما

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١][١].

فهذه الآيات ونظائرها كثيرٌ في القرآن تدل أن الفوز برضى الله، والسبق إلى المنازل العالية إنما هو بالأعمال الصالحات، والطاعات الزاكيات، والتقرب إلى الله بما يرضيه، وفعل طاعته وطاعةِ رسوله ﷺ، لا أن يعول الإنسان على حسب أو نسب، أو مال أو جاه أو غير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إذ الفضل الحقيقي هو اتباع ما بَعث الله به محمداً ﷺ من الإيمان والعلم

---

(١) ينظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٠٨).

باطناً وظاهراً، فكل من كان فيه أمكن كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام والإيمان والبر والتقوى، والعلم والعمل الصالح، والإحسان ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربياً أو عجمياً أو أسود أو أبيض ولا بكونه قروياً أو بدوياً»[1] اهـ.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

لعمرك ما الإنسان إلّا بدينه
فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
لقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء، وإنما وليي الله وصالحُ المؤمنين»**[2]

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص: ٤١٥).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٥٩٩٠)، و«صحيح مسلم» رقم (٢١٥).

فأخبر ﷺ عن بطن قريب النسب أنهم ليسوا بمجرد النسب أولياء، إنما وليه الله وصالحو المؤمنين من جميع الأصناف، وأن الولاية لا تنال بالنسب وإن قرب، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان أكمل إيماناً وعملاً فهو أعظم ولاية له.

ونسأل الله الكريم أن يزيننا بزينة الإيمان، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يوفقنا لطاعته، وأن يجعلنا من عباده المتقين.

[١١]

التحذير من كبائر الإثم

إن مما اعتنى النبي ﷺ ببيانه في حجة الوداع التحذيرَ من الموبقات، والنهيَ عن كبائر الذنوب وعظائم الآثام ولاسيما الشرك بالله، وقتل الأنفس المعصومة، والزنى، والسرقة.

فعن سلمة بن قيس الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «**ألا إنما هنَّ أربع: أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلّا بالحق، ولا تزنوا ولا تسرقوا**»[١]. رواه أحمد والطبراني والحاكم بإسناد صحيح[٢].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٣٩)، والطبراني (٦٣١٧)، والحاكم (٤/ ٣٥١)، وصححه الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٥٩).

(٢) وانظر في الصحيحين حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في ذكر =

فحذر عليه الصلاة والسلام من هذه الكبائر العظيمة، والموبقات الوخيمة، ونهى عنها، وفي قوله: «**ألا إنما هنَّ أربع**» بيان لعظم خطر هؤلاء الأربع الموبقات، وأنهنَّ أكبر الكبائر وأخطرها.

والذنوب منقسمة إلى كبائر وصغائر، والكبيرة هي كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار، أو حدٍّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة بأن توعد فاعله بأنه لا يدخل الجنة، أو لا يشم ريحها، أو نفَى عنه الإيمان، أو قيل فيه من فعله فليس منا وأن صاحبه آثم، فهذا كلّه من الكبائر[(١)]. ويدخل في هذا: الشرك، والقتل، والزنا، والسرقة، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وشرب الخمر، والكذب، والغيبة، والنميمة وغيرها مما ثبت في النصوص أنه من الكبائر.

= مبايعة النبي ﷺ أصحابه على البعد عن هذه الأربع. البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١/ ٦٥٠ ـ ٦٥٢).

وقد مدح الله في مواضع من كتابه مجتنبي الكبائر وأثنى عليهم، ووعدهم بكريم المآب وعظيم الثواب والمدخل الكريم.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

وأخبر سبحانه أنه أحصى على العباد كل ما اقترفوه من صغير وكبير، وأن كل ذلك مسطر مكتوب يجده العبد أمامه حاضراً يوم القيامة ليجزيَ سبحانه الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٣].

وتوعدهم على فعلها أعظم الوعيد، وكلما عظمت الكبيرة عظم الوعيد، واشتد العقاب، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

فالكبائر متفاوتة في غلظها وكبرها، كما أنها تغلظ بتكرارها وبالإصرار عليها وبما يقترن بها من سيئات أخر، وأكبر الكبائر الأربع التي نص عليها ﷺ في الحديث المتقدم ونبّه عليها عموم الناس في حجته التي ودع الناس فيها، مؤكداً على التحذير منها، مشيراً إلى كبر خطرها وعظم ضررها على مرتكبها ومقترفها في دنياه وأخراه.

وأكبر هذه الأربع الإشراك بالله ﷻ وليس في الذنوب أكبرُ منه، ولهذا قدمه عليه الصلاة والسلام بالذكر، تنبيهاً بذلك إلى أنه أعظم ذنب وأكبر خطيئة، فهو ذنبٌ يحط بصاحبه يوم القيامة، ويكبُّه على رأسه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها، وتحرم عليه الجنة فلا يشم لها رائحة ولا يذوق

منها لذة ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وكل ذنب دون الشرك يرجى لصاحبه المغفرة وإن عذبه الله في النار يوم القيامة فإنه لا يخلدْ فيها، وأما المشرك فلا مطمع له بمغفرة، ولا سبيل له لنيل عفو، ولا نجاة له من عذاب النار مخلداً فيها أبد الآبد.

قال ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبة تكون في حميل السيل**». رواه مسلم[1].

ويدل لهذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦].

---

(١) رقم (١٨٥)، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وعجباً ثم عجباً لأمر المشرك يخلقه الله رب العالمين ويعبد غيره من حجر أو شجر أو قبر أو نحو ذلك مما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا عطاءً ولا منعاً فضلاً من أن يملك شيئاً من ذلك لغيره، ولهذا قال ﷺ عندما سئل: أيُّ الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك**»[1]، فأيُّ ذنب أعظم وأيُّ ظلم أشنع وأيُّ جرم أكبر من أن يُجعل المخلوق الناقص الضعيف شريكاً للرب الخالق العظيم؛ ولذا أخبر الله سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروا الله حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه، وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلاً ونداً وشريكاً، تعالى الله عما يشركون.

ثم يلي الشرك في الخطر الثلاث المذكورة في الحديث: قتل الأنفس المعصومة، والزنا، والسرقة. وهي كلها اعتداء في حق المخلوقين، كما أن الشرك اعتداء في حق الخالق سبحانه.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقتل الأنفس التي حرّم الله قتلها اعتداء على الدماء المعصومة، والزنا اعتداء على الأعراض المصونة، والسرقة اعتداء على الأموال المحترمة، وكل ذلك حرام، وقد سبق ذكرُ قولِ النبي ﷺ في خطبة عرفة، وكذلك في خطبته في منى: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»[1]، فهناك بيّن حرمتها، وهنا حذّر من انتهاكها.

ومما ينبغي أن يعلم أن كل من تاب من أيِّ ذنبٍ كان، فإن الله يتوب عليه، فالتوبة تهدم ما كان قبلها كما قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

[١٢]

لا يدخل الجنّة إلّا مؤمن

إن أعظم ما قرّره رسول الله ﷺ بكلماته النيرات، وعظاته البالغات في حجة الوداع بيانُ مكانة الإيمان، وأنه أساس السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وأن الجنة دارُ اللّذّة والحبور والهناءة والسرور لا يدخلها إلا أهل الإيمان، ومن لم يكن مؤمناً فالجنة عليه حرام ولا يشم ريحها، بل يكون مآله إلى نار جهنم خالداً مخلداً فيها.

ففي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث بشر بن سُحيم قال: خطب رسول الله ﷺ في أيام التشريق أنه: «**لا يدخل الجنة إلّا مؤمن**»[١].

وبعث من بعث من أصحابه ببيان ذلك وإعلانه في

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٤١٥) و(٤/ ٣٣٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إرواء الغليل» (٤/ ١٢٩).

الناس معذرةً إلى الله، وإقامةً للحجة على العباد، كما في المسند عن بشر أيضاً ﵁: «أن رسول الله ﷺ أمر أن ينادى أيام التشريق أنه **لا يدخل الجنة إلّا مؤمن**»[1]، وفي بعض الروايات أنه ﷺ بعث بشر بن سُحيم فأمره أن ينادي: «**ألا إنه لا يدخل الجنة إلّا مؤمن**»[2]، وروى مسلم في صحيحه عن كعب بن مالك ﵁: «أن رسول الله ﷺ بعثه وأوسَ بن الحدثان أيام التشريق فنادى: أنه **لا يدخل الجنة إلّا مؤمن**»[3].

وكان عليه الصلاة والسلام بعث عليّاً ﵁ إلى مكة بهذا الإعلان في العام الذي قبله، ففي المسند عن محرَّر بن أبي هريرة عن أبيه أبي هريرة ﵁ قال: «كنت مع عليّ بن أبي طالب حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة فقال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا نادي أنه **لا يدخل الجنة إلّا مؤمن**» الحديث، قال أبو هريرة: «فكنت

---

(١)(٢) «مسند أحمد» (٣/ ٤١٥) و(٤/ ٣٣٥)، وصححه الألباني ﵀ في «إرواء الغليل» (٤/ ١٢٩).

(٣) «صحيح مسلم» رقم (١١٤٢).

أنادي حتى صَحِل صوتي»[1] أي: بُحَّ وغلظ.

وأيضاً بعث بهذا الإعلان قبل ذلك غير مرّة.

ففي صحيح مسلم، لما كان يوم خيبر قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلّا المؤمنون**» قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون[2].

وأيضاً قال لبلال رضي الله عنه: «**يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلّا مؤمن**»[3]. رواه البخاري ومسلم.

وفي هذا المعنى وردت أحاديثُ كثيرةٌ نصحاً للعباد، وإعذاراً إلى الله، وإقامة للحجة، وتبياناً لمقام الإيمان وشأنه، وأنَّ نعيم الله وثوابه ورضاه لا ينال إلّا بالإيمان. فالمؤمنون هم أهل نعيم الله وثوابه وجنته، ومن سواهم لا

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٢٩٩)، و«سنن النسائي» (٢٩٥٨). وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٣٢٩).

(٢) «صحيح مسلم» رقم (١١٤)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٦٦٠٦) واللفظ له، ومسلم (١١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مطمع لهم في نعيم، ولا سبيل لهم إلى فوز، وما لهم في الآخرة من خلاق.

ومن قامت عليه حجة الله، وبلغته دعوة المرسلين فأبى عن القبول أو كذب المرسلين، أو استكبر عن طاعة رب العالمين، أو كان من المعرضين، فليس له يوم القيامة إلّا النار هي مأواه وبئس المصير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٠ ـ ٤٣].

فالجنة دار أهل الإيمان وطاعةِ الرحمن، ومن عداهم سواء كانوا ملاحدة لا يؤمنون بالله، أو كفاراً يكذبون به

وبرسوله، أو مشركين يعبدون معه غيره، أو منافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر فهم من جُثا جهنم وحطب النار، يخلدهم الله فيها أبد الآباد، لا ينقذهم منها منقذ، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها بل يزداد، قال تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠][1]. هذا وأهل الإيمان في الجنة يسعدون، وبنعيمها يتمتعون، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون.

وبهذا تظهر مكانة الإيمان العالية ومنزلته السامية، فهو أعظم المطالب، وأجل المقاصد، وأنبل الأهداف، إذ به ينال العبد سعادة الدنيا والآخرة، ويدرك أهم المطالب وأجل الغايات، ويظفر بالجنة ونعيمها، وينجو من النار وسخط الجبار، وينال رضى الرب فلا يسخط عليه أبداً، ويتلذّذ بالنظر إلى وجهه الكريم في غير ضَرَّاء مُضرة ولا

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره: «وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها».

فتنة مُضلة، وما يناله أهل الإيمان من الثمار والآثار المباركة أمر يفوق الحصر ويتجاوز العد، وبالجملة فالخير كلّه فرع عن الإيمان ومترتب عليه، والهلاك والدمار والشر كله إنما هو بفقده ونقصه.

والإيمان إذا كان كاملاً قد أدى به صاحبه الواجبات، وترك المحرمات فإنه يمنع دخول النار، ويدخل صاحبُه الجنة بدون حساب أو عقاب، وإذا كان ناقصاً بترك واجب، أو فعل محرم فإنه يمنع صاحبه من الخلود في النار، كما تواترت النصوص عن النبي ﷺ بأنه لا يخلد في النار من في قلبه شيء من الإيمان ولو يسيراً[1]، ثم يكون مآله إلى الجنة بعد أن يطهر بالنار من أدران ذنوبه وأقذار معاصيه.

---

(١) عن أنسٍ رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرَّة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذَرَّة من خير**». رواه البخاري (٤٤)، ومسلم [٣٢٥ ـ (١٩٣)].

فمنازل الناس في الآخرة إنما هي بحسب حظهم من الإيمان زيادة ونقصاً، وجوداً وعدماً، والتوفيق بيد الله وحده، والمنة كلها له سبحانه ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧]، ولهذا إذا دخل أهل الإيمان الجنة وتبوءوا منازلهم فيها قالوا معترفين بمنّ الله وفضله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]، فجمع سبحانه في هذه الآية بين الإخبار باعترافهم وثنائهم على الله بالنعمة حيث أوصلهم إلى هذه المنازل، وبين ذكر السبب الذي نالوا به هذه المنّة وهو الإيمان وأعماله، فنسأل الله أن يمنّ علينا بالإيمان الصادق، وأن يزيننا بزينة الإيمان، وأن يجعلنا هداة مهتدين.

[١٣]
وصايا متنوعة

وثمت أمور عديدة تناولها النبي ﷺ بالبيان في خطبه ومواعظه في حجة الوداع تمس حاجة الناس إليها في صلاحهم مع ربهم وفي صلاحهم مع أنفسهم ومع مَن يعاشرون، يضيق المقام عن تفصيلها، لكن أشير إلى طائفة منها على سبيل الإجمال.

فمما بينه ﷺ في خطبه ومواعظه وتذكيره في حجته تأكيدُه على لزوم سنته واتباع هديه، وسلوك نهجه، والحذرِ من البدع والأهواء، ومن القول عليه بلا علم، أو تعمد الكذب عليه، ومفارقة هديه.

روى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن مرة قال: سمعت مرة قال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ على ناقة حمراء مخضرمة

فقال: «**أتدرون أيُّ يوم يومكم هذا؟**» قلنا: يوم النحر... وذكر الحديث وفيه: «**ألا وإني فرطُكُم على الحوض أنظركم، وإني مكاثر بكم الأمم فلا تسودوا وجهي، ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني، وستسألون عنّي، فمن كذب عليَّ فليتبوّأ مقعده من النار، ألا وإني مستنقِذٌ رجالاً أو ناساً ومستنقَذٌ مني آخرون، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[1].

فهذا تحذير بالغ من البدع والأهواء والإحداث في الدين، وتحذير من الكذب عليه ﷺ والقول عليه بلا علم فإنه من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام الموجبة لدخول النار.

ومما بينه ﷺ في حجة الوداع الحث على برِّ الوالدين، وصلة الأرحام، والتحذير من الاعتداء على حقوق

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ٤١٢)، وقال محقِّقُوه (٣٨/ ٤٨٢): إسناده صحيح.

وهو في «سنن ابن ماجه» (٣٠٥٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٤٩٩).

الآخرين، أو النيل من أعراضهم واغتيابهم.

روى الطبراني في المعجم الكبير عن أسامة بن شَريك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وهو يقول: «**أمَّك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك**» قال: فجاء قوم فقالوا: يا رسول الله قَتَلَنا بنو يربوع؟ فقال: «**لا تجني نفسٌ على أخرى**» ثم سأله رجل نسي أن يرمي الجمار؟ قال: «**ارم ولا حرج**» ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله نسيت الطواف، فقال: «**طف ولا حرج**» ثم أتاه آخر حلق قبل أن يذبح، قال: «**اذبح ولا حرج**» قال: فما سألوه يومئذ عن شيء إلّا قال: «**لا حرج ولا حرج**» ثم قال: «**أذهب الله عز وجل الحرج إلّا رجل اقترض مسلماً فذلك الذي حرج وهلك**» وقال: «**ما أنزل الله عز وجل داءً إلّا أنزل له دواءً إلّا الهرم**»[1].

ومما بينه كذلك التحذير من الجناية على الآخرين وأن من يجني لا يرجع وبال جنايته من الإثم أو القصاص إلّا

---

(١) «المعجم الكبير» رقم (٤٨٤)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٤٠٠).

إليه، وحذر من الشيطان وكيده وأنه لما رأى قوة التوحيد والإيمان يئس من وجود الشرك في المصلين، ولا يعني هذا اليأس انتفاء وجود الشرك، وأخبر أنه سيكون له أتباع يطيعونه فيما يدعوهم إليه، وحذر من الربا ومن الظلم.

روى ابن ماجه عن عمرو بن الأحوص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع: «**يا أيها الناس ألا أيُّ يوم أَحْرَمُ؟** ثلاث مرات، قالوا: يومَ الحج الأكبر، قال: **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا لا يجني جانٍ إلّا على نفسه، ولا يجني والدٌ على ولده، ولا مولودٌ على والده، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم، فيرضى بها، ألا وكل دم من دماء الجاهلية موضوع، وأول ما أضع منها دمُ الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل، ألا وإنَّ كلَّ رباً من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم، لا تَظلمون ولا تُظلمون، ألا يا أمَّتاه، هل بلّغت؟**

ثلاث مرات، قالوا: نعم، قال: **اللهم اشهد، ثلاث مرات»**[1].

ومما بينه كذلك أنَّ الله قسم المواريث في كتابه وأعطى كلَّ إنسان نصيبه من الميراث، وأخبر أنَّ الولد للفراش أي لصاحب الفراش وأن العاهر له الحجر، وحذر من أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه.

ففي المسند عن عمرو بن خارجة قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمنى وهو على راحلته وهي تقصع بجرَّتها، ولُعابُها يسيل بين كتفيَّ، فقال: «**إنَّ الله قسم لكلِّ إنسان نصيبه من الميراث، فلا تجوز لوارث وصيةٌ، الولد للفراش، وللعاهر الحجر، ألا ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه رغبةً عنهم فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**»[2].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٠٥٥)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٤٩٧).

(٢) «مسند أحمد» (٤/١٨٦)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧١٢). وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٧٩٤).

وبيّن أيضاً فيما بيّن قصر الدنيا وسرعة زوالها، وحذّر من الاغترار بها حيث قال للناس قبل غروب الشمس وهو واقف بعرفة: «**أيها الناس إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه**»[1]. رواه أحمد.

وحثّ الناس على السكينة والرفق وعدم التدافع، فعند الانطلاق من عرفة قال: «**يا أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار**»[2] رواه النسائي. ولما تزاحم الناس عند الجمرات قال ﷺ: «**يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، وإذا رميتم فارموا بمثل حصى الخذف**»[3] رواه أحمد.

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ١٣٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقال محققوه (١٠/ ٣١٤): «حديثٌ صحيح لغيره».

(٢) «سنن النسائي» (٣٠١٨) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٣٤٦).

(٣) «مسند أحمد» (٦/ ٣٧٦)، و«سنن أبي داود» (١٩٦٦) من حديث أم جندب الأزدية رضي الله عنها. وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٧٨٩٠).

وحذر الأمة من فتنة الدجال وذكر صفته، ففي الصحيحين[1] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نتحدث عن حجة الوداع، والنبيُّ ﷺ بين أظهرنا، ولا ندري ما حجةُ الوداع، حتى حمد اللهَ رسولُ الله ﷺ وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره، وقال: «**ما بعث الله من نبي إلّا أنذره أمته؛ أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم، إن ربكم ليس بأعور، إنه أعور عين اليمنى كأنَّ عينه عنبة طافية**» الحديث[2].

إلى غير ذلك من الوصايا العظيمة، والعظات البالغة، والتوجيهات السديدة، نصحاً للأمة وبياناً للدين. فجزاه الله عن أمته خير الجزاء وأوفاه، وصلى الله عليه وملائكته والصالحون من عباده وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٤٤٠٢) والسِّياق له، و«صحيح مسلم» رقم (١٦٩).

(٢) ينظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٠٧).

الفهرس